الفلسفة الحديثة

تسمى حقبة الفلسفة الحديثة التي بدأت عام ١٤٥٣ م بأسم عصر النهضة (الميلاد من جديد Renaissance) ، وتقسم تقسيماً فرعياً الى فترتين :

١. الفترة الاولى / هي الفترة الانسانية وتبدأ من ١٤٥٣ حتى عام ١٦٠٠ . وكانت قيادة الفلسفة في ايطاليا ، وقد استمد بعث الروح في الفلسفة من دراسة الفلاسفة القدماء اليونان واللاتين(بدلاً من دراسة فلاسفة العصر الوسيط).
٢. الفترة الثانية / وتبدأ من عام ١٦٠٠ حتى ١٦٩٠ وهي الفترة التي لمع فيه فرنسيس بيكن ، وتوماس هوبز ، في أنجلترا ، وديكارت ، وسبينوزا وليبنتز في قارة اوربا.

ويمثل عصر النهضة حركة فكرية نشأت أولاً في أيطاليا في اوائل القرن الرابع عشر ، وأستمرت حوالي قرنين ، كان من أهم خصائصها التحرر من سلطان الكنيسة ورجال الدين ، والتمرد على قواعد الأخلاق المتفق عليها ، ورفض الفلسفة المدرسية التي جاء بها العصر الوسيط.

إذن من خلال أنتقال المجتمع الأوربي من النمط الزراعي الأقطاعي محدود الأفق الذي كان سائد إلى نمط صناعي رأسمالي بأفق مفتوحة ، وعبر صراع متعدد الجوانب (اقتصادية ، اجتماعية ، فكرية ، سياسية) ، فقد تولدت مفاهيم وأفكار و مدارس فلسفية لتعلن بداية عصر جديد هو عصر النهضة والتنوير.

- **العوامل التي أسهمت في الانتقال من العصر الوسيط الى عصر النهضة:**

١. بدأت نظرة العصور الوسطى الى العالم تختفي خلال القرن الرابع عشر ، فأخذت تظهر قوى جديدة شكلت العالم الحديث.

(حيث بنت اوربا أسس حياة ثقافيه خاصة بها عندما بدأت الحياة الزراعية بالتقدم وأصبح هناك فائضاً من المحاصيل ورافق تصريفه طلب منتجات بلدان أخرى ، وبالتالي نشأت أسواق للتبادل التجاري ، وقيام مدن مزدحمة وازدياد اوقات الفراغ وتوسع أنواع الأهتمام ، تولد حب استطلاع عقلي كان من مظاهره فحص الاعتقادات القائمة والتطلع الى معارف جديدة**).**

٢. تحول الكنيسة عن صيغتها المحلية الغالبة في القرون الوسطى الى نظام البابوية الشامل بمؤسساته الجديدة المتعددة ، أدى هذا التحول الى تهيأت متسعاً من الوقت لدى الأفراد لإرضاء فضولهم الفكري.

(وكل هذا أدى إلى زيادة المهتمين بالحياة الفكرية وخلق بصورة غير مباشرة تربة خصبة للأتجاهات الجديدة في الفكر فشهد القرن الثالث عشر نشوء جمهور علماني ذي اهتمام بالأدب والعلم). إذن كان من عوامل النهضة الأوربية هو تراجع سلطة الكنيسة .

٣. كذلك الحروب الصليبية أتاحت للكثير من أبناءها فرص للأحتكاك بالثقافة العربية الاسلامية التي كانت تفوق الثقافة الاوربية بمراحل كثيرة. كما أن غزو القسطنطينة عام ١٢٤٠م فتح المجال للاطلاع على ثقافة اليونان . وظهور حركة الترجمة.

(أذن نضوج الشعوب الاوربية لم يأت نتيجة حادث واحد أنما هو ثمرة للنمو البطيء لمجتمع القرون الوسطى).

٤. في الفترة الواقعة بين مطلع القرن الثاني عشر ونهاية القرن الثالث عشر قامت حضارة كانت الى حد بعيد متسعة وشاملة في اوربا. وجاء التأكيد على اهمية التجربة.

(حيث ظهر اتجاه حديث يتمثل في نزعة تجريبية هدمت بعض المذاهب الكبيرة التي وضعت من قبل ، واخذ يتلاشى أثر القول بالضرورات العقلية ، وبدأ يصبح للملاحظة دور في البحث عن تفسير الظواهر الطبيعية).

٥. سرعة تقدم العلم ، وظهور الأكتشافات و الأختراعات ، واصبح الانسان يشعر بالقوة واقل رضوخاً للبيئة ، بسبب الانتصارات العظيمة التي حققها العلم .

-

- **عوامل نشأة الفلسفة الحديثة**

هناك عوامل عديدة أسهمت في ظهور الفكر الفلسفي الحديث، أهمها:-

١. عامل تاريخي، تمثل في استرداد الأسبان للأندلس في أواخر القرن الخامس عشر، مستولين بذلك على ذخائر التراث العربي التي وجودها هناك. بالإضافة إلى ظهور حركة الكشوف الجغرافية، حيث اكتشف ماجلان طريق رأس الرجاء الصالح الذي يدور حول إفريقيا، مما مكن لأوروبا طريقاً آخر للهند وشرق آسيا غير الطريق الذي يمر عبر المشرق العربي والإسلامي، وحيث اكتشف كولومبوس قارة أمريكا، وفتح بذلك آفاق جديدة للتجارة مع العالم الجديد والاستيطان به. والحقيقة أن نفس هذه الفترة كانت فترة توسع الأتراك العثمانيون في أوروبا الشرقية، إذ قد نجحوا في فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣، وكان هذا عاملاً أساسياً على إسراع أوروبا في الكشوف الجغرافية وفي التوسع في العالم الجديد، كي تعوض ما فقدته للعثمانيين في

الشرق. كل هذا خلق جواً جديداً لأوروبا، تعرفت فيه على العالم وتاجرت وتوسعت واتسعت بذلك آفاقها الفكرية والأدبية والفنية، إذ لم يكن من الممكن لأوروبا التي كانت محبوسة في قارتها الصغيرة أن تنتج فكراً وآداباً إنسانية وعالمية، وقد وفرت لها الكشوف الجغرافية وحركة التجارة العالمية وحركة استيطان العالم الجديد مجالاً للإبداع الإنساني العالمي.

٢. ظهور الروح العلمية الحديثة وازدهار العلوم التجريبية. وتمثل ذلك في الثورة العلمية التي أحدثها العالم البولندي كوبرنيقوس (١٤٧٣-١٥٤٣) باكتشافه للنظام الشمسي. كان العالم قبل كوبرنيقوس يعتقد، تحت تأثير فلسفات العصور الوسطى التي كانت تعتمد على نظام بطليموس الفلكي، أن الأرض ثابتة وفي مركز الكون، والسماء بما فيها من نجوم وكواكب وشمس وقمر، تدور حولها. لم يقتنع كوبرنيقوس بهذه الفكرة الساذجة واكتشف أن العكس هو الصحيح، أي أن الشمس ثابتة والأرض هي التي تدور حولها، وكذلك اكتشف دوران الكواكب حول الشمس، أي المجموعة الشمسية. كان هذا الاكتشاف من العوامل التي أدت إلى فقدان الثقة بكل الفلسفات والعلوم الموروثة وخاصة فلسفة أرسطو، مما مكن الفكر الأوروبي من التحرر من ثقل تراث الماضي والبحث بنفسه عن أسرار الكون.

وبعد كوبرنيقوس جاء العالم الألماني كبلر (١٥٧١-١٦٣٠) الذي أحدث ثورة أخرى في علم الفلك والرياضيات، إذ أضاف إلى نظرية كوبرنيقوس تعديلاً هاماً يذهب إلى أن دوران الكواكب حول الشمس لا يأخذ شكل الدائرة الكاملة بل الشكل البيضاوي، كما اكتشف أن حركة الكوكب تتسارع في مداره عندما يقترب من الشمس وتتباطأ عندما يبتعد عنها، وكان هذا مما ساعد اسحق نيوتن بعد ذلك على اكتشاف القوانين العامة للجاذبية. وكذلك اكتشف كبلر العلاقة الوثيقة بين علم الفلك والرياضيات، حيث أدرك أن الرياضيات هي أداة البحث في الفلك والفيزياء عامة. كما أحدث العالم الإيطالي جاليليو (١٥٦٤-١٦٤٢) ثورة علمية أخرى عندما اكتشف العلاقة

بين الكتلة والسرعة وبين الساكن والمتحرك في الأجسام في حالة الاصطدام، وظاهرة تسارع وتباطؤ السرعة، ووضع نظرياته في صورة رياضية دقيقة مما مكن العالم من اكتشاف الطابع الرياضي للقوانين الفيزيائية. كما دافع جاليليو عن نظرية كوبرنيقوس في المجموعة الشمسية وأجرى عدداً من الملاحظات الفلكية تؤيد تلك النظرية واكتشف عدداً من أقمار كوكب المشترى.

وإلى جانب الروح العلمية تطورت فنون الصناعة، ذلك لأن الحروب التي دخلتها البلدان الأوروبية آنذاك أدت إلى زيادة استخدام البارود والأسلحة النارية، مما شجع على تطور الأبحاث الكيميائية والصناعات المعدنية. والملاحظ كيف تداخلت هذه الفنون مع تطور العلم الحديث، فعندما كان جاليليو يدرس سقوط الأجسام والعلاقة بين الكتلة والسرعة والجاذبية ضرب مثالاً شهيراً وهو قذيفة المدفع التي تأخذ مساراً منحنياً، ودرس بدقة سرعة القذيفة والعلاقة بين المنحنى والمسافة التي تقطعها. وكان أهم اختراع في هذا العصر هو اختراع المطبعة على يد جوتنبرج. والحقيقة أن هذا الاختراع كان له أبلغ الأثر في أن يأخذ الفكر الحديث طابعاً جديداً مختلفاً عما سبقه. إذ انتشر الكتاب المطبوع وأصبح للقراءة جمهور واسع، ولم تعد الفلسفة مقيدة بفئة محددة من المتخصصين بل أصبحت شأناً عماً لكل المثقفين، حتى أصبحت مؤلفات الفلاسفة تقرأ من جمهور عريض مثل الأعمال الأدبية، وبذلك لم يعد الحكم على الأفكار في يد طائفة من رجال الدين أو الأكاديميين بل احتكم الفلاسفة إلى كل من له عقل سليم وفكر حر وبصيرة ذاتية، وكان هذا عاملاً على انتشار النزعات العقلانية والإنسانية في الفكر الغربي.

٣. ظهور عصر النهضة الأوروبية ابتداء من القرن الخامس عشر، وقد كانت نهضة شاملة، فكرية وأدبية علمية. ظهرت بدايات عصر النهضة عندما فتح الأتراك القسطنطينية سنة ١٤٥٣ واسترد الأسبان آخر جزء من الأندلس وهو غرناطة في تسعينات القرن الخامس عشر، وانتقل بذلك التراث اليوناني والروماني إلى غرب أوروبا، فظهرت حركة واسعة لإحياء الآداب اليونانية

واللاتينية. كانت هذه الآداب تركز على الإنسانيات مما أدى إلى ظهور نزعة إنسانية قوية في الفكر الأوروبي، ولم يمنع إحياء التراث اليوناني الفكر الأوربي من أن يأخذ موقفاً نقدياً منه، فقد توافق هذا الإحياء مع نقد واسع وشامل لفلسفة أرسطو عن طريق الاستعانة بفلسفة أفلاطون وأفلوطين والأفلاطونية المحدثة، أو الاستعانة بالمنهج التجريبي في حالة فرنسيس بيكون، إن نقد المنطق الصوري الأرسطى الذي يعتمد على مقدمات عامة نظرية وعقلية صرف وأكد على ضرورة الاعتماد على الملاحظة والتجربة والاستقراء.

٤. حركة الإصلاح الديني بقيادة مارتن لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦) وجون كالفن. هدفت هذه الحركة تجديد الدين المسيحي بالتخلص من سيطرة الكنيسة الكاثوليكية والعودة إلى جوهر المسيحية الصافي في منابعها الأولى دون أية تأويلات أو عقائد نظرية جامدة يفرضها رجال الدين، وظهرت بذلك الحركات البروتستانتية والبيوريتانية التي تركز على الجوانب الأخلاقية من رسالة المسيحية، وتؤكد على قيم الزهد والعمل، وعلى الضمير الإنساني اليقظ، وعلى استقلال الإنسان بحيث يكون موجهه الأول هو الكتاب المقدس نفسه دون وساطة من كهنوت أو مؤسسة دينية. وأعطت حركة الإصلاح الديني الحرية لكل إنسان في أن يفهم الكتاب المقدس وحده دون استعانة بأحد، واثقة بذلك من قدرة العقل الإنساني والضمير الحي على الفهم وعلى تبني الرسالة والعمل بها. ولذلك عمل لوثر على ترجمة الكتاب المقدس الذي كان مكتوباً باللاتينية وحكراً في يد رجال الدين وعلماء الكنيسة والمثقفين، إلى الألمانية وهي أول لغة أوروبية حديثة يترجم إليها الكتاب المقدس، وتوالت الترجمات بعد ذلك إلى كل اللغات الأوروبية، مما وضع الكتاب المقدس أمام الجمهور الأوروبي في كل قومياته، وكان هذا عاملاً على إتاحته للنظر والفهم المختلف والتفسيرات المتعددة. أكدت حركة الإصلاح

الديني على أهمية الإنسان وضميره الفردي ومسئوليته الشخصية، وكانت عاملاً على نضوج النزعة الإنسانية الفردية والاستقلال الفكري.

و لنا أن نتساءل عن السر الذي يكمن في ظهور بوادر الفكر الحديث في إيطاليا واستباق المفكرين الإيطاليين للمشكلات والقضايا الفلسفية التي شغلت فلاسفة العصر الحديث. والإجابة عن هذا التساؤل تتمثل في أن إيطاليا في عصر النهضة كانت هي الإقليم الأقرب اتصالاً بالشرق العربي، ففيها تم انتقال التراثين اليوناني والعربي الإسلامي إلى أوروبا، وفيها أيضاً تمت ترجمة الأعمال الأدبية الكلاسيكية والأعمال الفلسفية العربية إلى اللغة اللاتينية. كما أن إيطاليا آنذاك قد شهدت جمهوريات مزدهرة من الناحية التجارية بسبب مراكز التجارة البحرية المزدهرة مع شرق المتوسط مثل جنوة والبندقية وفلورنسا. إذ ظهرت في هذه المدن بدايات الاقتصاد النقدي والبنوك ذات النشاط الدولي، وتراكمت فيها الثروة وظهرت فيها الطبقة البروجوازية المشتغلة بأعمال المال والصناعة والتجارة. وبالتالي فإن حركة النهضة الأدبية والفنية والفكرية هناك استندت على أساس اقتصادي مزدهر، على الرغم من عدم توحد إيطاليا في دولة واحدة وانقسامها إلى العديد من الدويلات أو الجمهوريات التي نشأت حول المدن التجارية. وبعد أن انتقل مركز الثقل الاقتصادي من المدن الإيطالية إلى غرب أوروبا وخاصة فرنسا وإنجلترا في القرن السابع عشر، انتقل معه مركز الثقل الفكري والثقافي، وبذلك وجدنا الحركة الفلسفية تزدهر في هذين البلدين، بالإضافة إلى هولندا وألمانيا في القرن الثامن عشر.